المؤتمر الدولي الثاني

لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالسادات

ورقــة بحثيـة بعنـوان:

البحث الأدبي بين الواقع والمأمول

إعــداد

أ.د محمد محمد إبراهيم بظاظو

أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بإيتاي البارود

للعام الجامعي: ٢٠٢٤/٢٠٢٥م

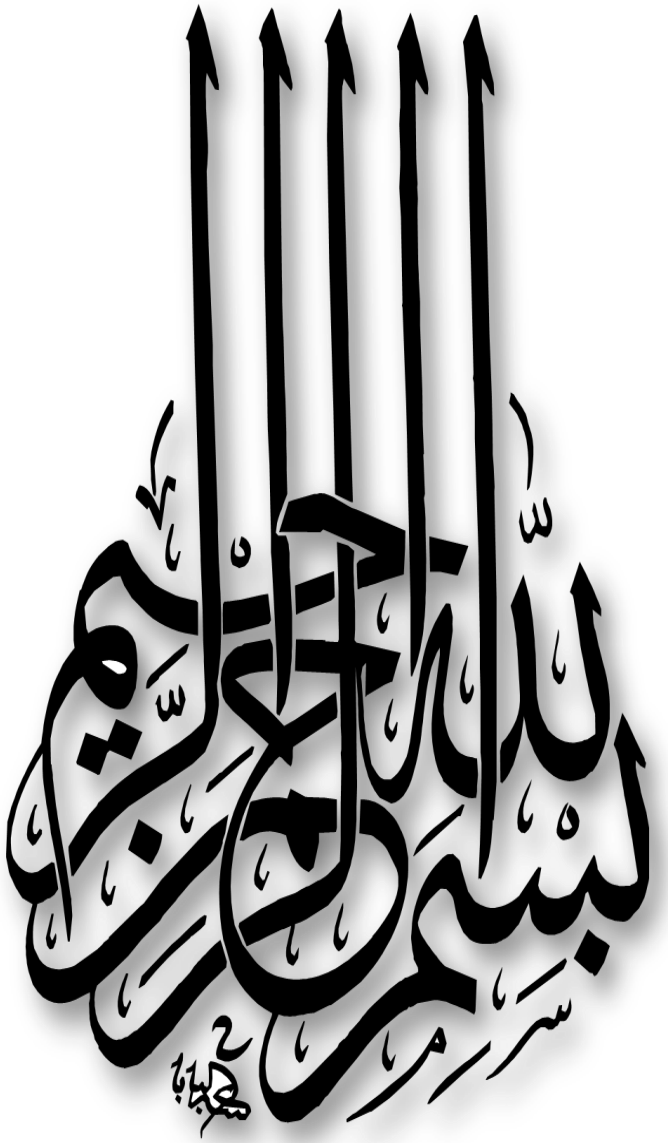
بسم الله الرحمن الرحيم

البحث الأدبي بين الواقع والمأمول

أ.د. محمد محمد إبراهيم بظاظو
أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بإيتاي البارود
البريد الإليكتروني: Mohamedbazazo.٧٠@gmail

الملخص:

إذا كانت مهمة التعليم المدرسي –غالبا– هي نقل المعلومة، فإن المهمة الأولى للتعليم الجامعي هي إنتاج المعلومة، أو تصحيحها إذا تبين خطؤها، أو تطويرها لتوائم المستجدات.

فإن التعليم المدرسي ربما لا يتوفر له الوسائل ولا البرامج لاختبار صحة المعلومة أو دقتها، وهو يكل ذلك إلى مصدر إمداده بتلك المعلومة وهو المستوى الجامعي، حيث يتسع المجال للبحث والمراجعة والفحص والتدقيق، من خلال عمل مؤسسي، تؤديه لجان متخصصة وتراجعه أقسام علمية في التخصص المطلوب. كما تتاح الأجهزة والأدوات التي تناسب كل تخصص علمي لإجراء تلك الفحوص والمراجعات. وإنما يقوم بهذه المهمة في الجامعة قطاع البحث العلمي، وتعينه في ذلك مراكز البحوث المتخصصة .

واستمرار البحث العلمي وتطويره تجديد للعلم والحياة معا ،والأصل في الطالب الجامعي أن يعد ليصبح باحثا متميزا، وفي الجامعات المتميزة في العالم يظل البحث العلمي مستمرا لا يتوقف، يراجع كل ما وصل إليه العلم ويطور الأدوات والوسائل لتمحيص معطيات العلم المتجددة، وتخرج نتائجه إلى المجتمع ؛تصحح فهما، أو تسهل صعبا، أو تفتح بابا لخدمة الإنسان.

فمن المعلوم أن البحث العلمي الذي يصدر عن الجامعة هو موثوق معلوماتيا، لأنه يصدر بإشراف مؤسسي، يخضع للجنة إشراف ثم مناقشة، ثم فحص إذا تقدم به صاحبه لوظيفة؛ فهو منتج يختلف عن الكتاب المنشور خارج هذه الدائرة، والذي لا يخضع إلا لجهد كاتبه، ومراجعة ناشره أحيانا. لكن كل تلك الميزات تضيع إذا انتفى الغرض الأصلي من البحث.

الكلمات المفتاحية: [البحث الأدبي / الواقع / المأمول]

Literary Research between Reality and Aspiration

Prof. Dr: Mohammed Mohammed Ebrahem bazazo
Professor of Literature and Criticism
Itay Al-Baroud - Al-Azhar ،Faculty of Arabic Language University - Beheira Branch
Email: Mohamedbazazo.٧٠@gmail

Abstract:

While the main task of school education is often the transmission of information, the primary task of university education is the production of knowledge, or its correction if found erroneous, or its development to accommodate new knowledge. School education may lack the means and programs to verify the accuracy or validity of information, delegating this to university-level education, where there is room for research, review, examination, and scrutiny through institutional committees and academic departments specialized in the relevant fields. Appropriate devices and tools are available for scientific testing and verification. This task is conducted by the university's scientific research sector, assisted by specialized research centers. Continuous scientific research and development renew both knowledge and life; the original goal of the university student is to become an outstanding researcher. In distinguished universities worldwide, research is continuously ongoing, reviewing all scientific advancements, developing tools and means to rigorously examine new data, and disseminating results to society—correcting understanding, facilitating difficulties, or opening new avenues for serving humanity. Scientific research issued by universities is reliable because it is subject to institutional supervision, committees, discussion, and examination if submitted for academic promotion. This differs from published books outside this circle, which depend only on the author's effort and sometimes publisher review. However, all these advantages are lost if the original purpose of the research is absent.

Keywords: (literary research / reality / aspiration).

البحث الأدبي بين الواقع والمأمول

إذا كانت مهمة التعليم المدرسي –غالبا– هي نقل المعلومة، فإن المهمة الأولى للتعليم الجامعي هي إنتاج المعلومة، أو تصحيحها إذا تبين خطؤها، أو تطويرها لتوائم المستجدات .

فإن التعليم المدرسي ربما لا يتوفر له الوسائل ولا البرامج لاختبار صحة المعلومة أو دقتها، وهو يكل ذلك إلى مصدر إمداده بتلك المعلومة وهو المستوى الجامعي، حيث يتسع المجال للبحث والمراجعة والفحص والتدقيق، من خلال عمل مؤسسي، تؤديه لجان متخصصة وتراجعه أقسام علمية في التخصص المطلوب. كما تتاح الأجهزة والأدوات التي تناسب كل تخصص علمي لإجراء تلك الفحوص والمراجعات.

وإنما يقوم بهذه المهمة في الجامعة قطاع البحث العلمي، وتعينه في ذلك مراكز البحوث المتخصصة .

واستمرار البحث العلمي وتطويره تجديد للعلم والحياة معا ،والأصل في الطالب الجامعي أن يعد ليصبح باحثا متميزا، ولذا يدرب على البحث منذ السنة الأولى الجامعية في أحد فروع الدراسة ليكتسب طريقة التعامل مع المصادر وكيفية توثيق المعلومة والتحقق من مصداقيتها واكتمالها، ومناقشة سبب بترها إن وجد، وتلون فهم المعلومة عند رواتها وناقليها.

ففي الجامعات المتميزة في العالم يظل البحث العلمي مستمرا لا يتوقف، يراجع كل ما وصل إليه العلم ويطور الأدوات والوسائل لتمحيص معطيات العلم المتجددة، وتخرج نتائجه إلى المجتمع ؛تصحح فهما، أو تسهل صعبا، أو تفتح بابا لخدمة الإنسان.

وليست مقررات مادة البحث في سنوات الليسانس إلا تدريبا على المهارة التي قامت الجامعة لأجلها، ومن تضييع الجهد أن تتحول إلى تجميع أوراق دون تحقق وعي أو اكتساب خبرة.

وإنتاج المعلومة وما يتبعه من تصحيح أو تطوير إنما يرتبط بحاجة المجتمع، وحل مشكلاته، فيواكب البحث العلمي مسيرة المجتمع، ويرقب ما يطرأ عليها من تغيرات، ويعمل على تفعيل الإيجابيات ومعالجة السلبيات.

لكن الناظر إلى جامعاتنا يجد سيطرة فكرة (السهولة) على اختيار الموضوعات، ولذا تتكرر البحوث وتتقارب محاورها، لأن الطريق السهل يقصده الجميع، بينما تُهجر (العُقد) التي تتطلب شجاعة وصبرا ودقة وطول نفس، وهي المشكلات الحقيقية الجديرة بالبحث النافعة للمجتمع .

وترد على الذهن هنا فكرة (ما ترك الأول للآخر) وهي فكرة مثبطة مقعدة عن الحركة والجهد، وهي – بعد ذلك– وهمية؛ فالناظر في مؤلفات السابقين – قدماء ومحدثين– يكتشف أبوابا علمية فتحت ثم تركت لمن يأتي بعد، فالعلاقات بين عناصراللغة ومستوياتها المتعددة ..صوتية ،ورسما للحروف، واشتقاقا وتشكيلا للمفردة، ثم تركيبا للعبارة، ثم تنسيقا وتجميلا لها بما يوافق الظرف والمتكلم والمخاطب، وما يوائم النسق الفني الذي تساق فيه ، قصة أو مسرحا أو شعرا أو غيرها.. تلك العلاقات حين تراجع وتدقق تفتح أبوابا لعالم لغوي جديد ، يتذوق به الجمهور حلاوة اللغة وعظمتها، ويدركون قيمة النصوص التي حفظت لهم خمسة عشر قرنا، فنحقق قوة انتماء، وإحساس عز وفخار باللغة ورسالتها .

وعند البحث الجاد ستلتقي الرؤى الجمالية لنصوصنا المحفوظة على مدى الزمن مع الآليات الحديثة في القصة والدراما وفنون التأثير في الجمهور، فيتفاعل العطاء الخالد مع الواقع المتعطش للإثراء في آليات الفن ومضامينه على السواء .

ويجب هنا أن نطمح إلى تصور أوسع لأدائنا البحثي في الجامعات، بحيث نتجاوز الإقليمية إلى المحيط الذي تربطه ثقافة واحدة وتاريخ واحد؛ فتتعاون الجامعات العربية والإسلامية على تكوين رؤية موحدة للأولويات البحثية في المجالين التقني والإنساني، فتسد ثغور وتحقق احتياجات بتنوع الجغرافيا

والقدرات.

وفي جامعاتنا إذا كتب أحد كبار الأساتذة مقالا عن (طوفان الرسائل العلمية؛ إلى أين؟)، وإذا تكدست نسخ الرسائل في مكتبة أحد الأساتذة لضخامتها – حجما وعددا –حتى أنه يحاول التخلص منها بإهدائها إلى جهة ما .. إذا حدث ذلك فإن الأمر يحتاج إلى مراجعة .

فمن المعلوم أن البحث العلمي الذي يصدر عن الجامعة هو موثوق معلوماتيا، لأنه يصدر بإشراف مؤسسي، يخضع للجنة إشراف ثم مناقشة، ثم فحص إذا تقدم به صاحبه لوظيفة؛ فهو منتج يختلف عن الكتاب المنشور خارج هذه الدائرة، والذي لا يخضع إلا لجهد كاتبه، ومراجعة ناشره أحيانا.

لكن كل تلك الميزات تضيع إذا انتفى الغرض الأصلي من البحث؛ فالمنطقي أن المرء إنما (يبحث) عن شيء مهم، يحتفظ به حين يجده، ويضن به على من لا يقدره، ويفخر بأنه نتاج جهده، لأنه مقتنع بأهمية ما يحويه من معلومات، وبأن لها دورا واضحا وأثرا بينا في الحياة .

فإذا انتفت كل تلك الغايات، وانكمشت، فصارت (جمع كم معلوماتي ، في أسرع وقت ممكن، عن موضوع أيا كان، تكدس به أوراق متلاصقة ، تشكل بثقلها وهيئتها وتجليدها نموذج مجلد ضخم، مذهب العنوان، ليحصل صاحبه على درجة علمية ما .. ثم يتجاوزه الجميع بمجرد المناقشة والحصول على الدرجة؛ لأن الواقع لا يتطلبه، أي هو لا يخدم الحالة الحاضرة، والاحتياجات الملحة، والمشكلات المتراكمة التي ينوء بها المجتمع .. وإذن فقد قضي أمره، وانطوى ذكره، إذ لم يعد له في الواقع نصيب ..أقول: إذا حدث ذلك فإن هناك خللا يحتاج تصحيحا.

وإن مجال الدراسات الإنسانية – التاريخ والأدب والفن والدين واللغة – هو أخطر المجالات لو أدرك الناس قيمة ما يتناوله، فإذا تناول المجال التقني (الماء والهواء والتراب والصوت والضوء والطاقة والمادة والدم واللحم والعظام ...الخ) .. فإن الدراسات الإنسانية تعمل في (عقل ووعي وتشكيل شخصية ذلك

الكائن المكرم الذي خلق لأجله الكون كله .. الإنسان)، وبقدر إعلاء قيمة ذلك الكائن، وإحساسه هو بهذه القيمة .. تعلو قيمة هذه الدراسات، ويزداد التركيز عليها، والفحص والتدقيق فيما تتضمنه من معلومات واستنتاجات، ويطلب فيها الغاية من أقرب سبيل، وبأوجز عبارة، فينتفي ورم الصفحات، ويكون الأهم هو (اكتب جديدا ودع بالأمس ما كتبوا)، نعم .. جديدا يلمس الواقع، يصحح خطأً، يفسر لغزا، يسهل صعبا، ويظهر أثر كل ذلك في الواقع وحياة الناس.

ومن هنا يكون اختيار مجال البحث أمرا في غاية الخطورة، إذ تركه لاجتهاد الباحث إضاعة لجهده وجهد (الدراسات العليا) بكامل جهازها، حين نجد الناتج حرثا في ماء، أو جعجعة بلا طحن.

إن برنامج البحث في الدراسات العليا يجب أن يخدم مشروعات استراتيجية تحفظ هوية الأمة وموروثها القيمي، وتساعدها على مواجهة التحديات الملحة.

ومن هذه التحديات الواقعية في عالمنا الحاضر مشكلة المواءمة بين (حرَفية الأداء في العمل الفني) وبين تحقيق (الهدف القيمي) الذي يزكي وينمي (إنسانية الإنسان)، بحيث يكون (الشعر أو الرواية أو المسرح أو العرض السينمائي) على أعلى درجة من المهارة والفاعلية، وهو – في الوقت نفسه – يراعي قيم (الإنسانية) ولا يشوهها، فهل من (معايير) للعمل الفني تحقق ذلك التوازن الدقيق بين (حرفية الأداء) و(إنسانية المضمون)، نستطيع تقديمها للعالم المتغير بسرعة، الظامئ إلى حقائق تنفي الزيف، دون أن نلون العمل بلون عنصري أو أيديولوجي أو قومي ؟

ونحن –العرب – أمة التوثيق؛ ففضلا عما أحيطت به النصوص الدينية عندنا من رعاية سندا ومتنا .. نجد نصوصا من شعرنا القديم تروى وتنقل على مدى خمسة عشر قرنا لا يكاد يتغير في أبياتها –حذفا أو تغييرا في موضعه– إلا عدد محدود، و(لامية العرب) للشنفرى خير مثال على ذلك ، بينما نجد النص – في الأمم الأخرى– لا يكاد يمضي عليه قرن من الزمان حتى يشوه بالإضافة والحذف والتبديل، يشهد بذلك (ول ديو رانت) في (قصة الحضارة).

فهل من مشروع يجلي ويضع الأصول ويبرز الثوابت التاريخية لما يمكن تسميته (علم رواية الشعر العربي)[١] يؤكد سمة (التوثيق) في نصوصنا الشعرية، التي هي جزء خطير من هويتنا وتاريخنا الثقافي.

ومما يتصل بقضية (الهوية الثقافية) ما يتردد بشكل مكثف في دراسات الأدب المقارن عن تأثير الثقافة العربية في أدب (شكسبير) رأس الأدب الانجليزي، حتى قال مطران: – في ترجمته لمسرحية (عطيل) – (إن في نفس شكسبير شيئا عربيا بلا منازعة).. فهل من مشروع بحثي مقارن يتتبع ملامح ذلك (الشيئ العربي) في أدبه ويبرزه للمتابعين .. وربما يتصل ذلك بكشف حلقة مفقودة من مسيرة حياة شكسبير يتجاوزها المترجمون لشخصيته من الأوربيين ولا يكادون يوضحون لها من ملامح، وإن قامة أدبية مثل (شكسبير) لها تأثيرها العميق والممتد في أدب أوروبا لحرية أن نفحص دقائق أعمالها الفنية للوصول إلى هذا الأثر العربي ؛لأنه سينعكس بالطبع على كل من جاء بعده من أدباء أوروبا، لنصل في النهاية إلى تأكيد (بصمتنا الثقافية) على العطاء الأدبي والفني في أوروبا، لا زعما وادعاء، بل تحقيقا وحصرا وإحصاء ،من واقع الأعمال الأدبية ذاتها.

ولا شك أنه مجال مرهق ، يتطلب مع إتقان اللغة الأخرى خبرة بالأعمال الفنية ومهارة في تحليلها، وهذا هو مجال البحث العلمي المنتج، الذي يخطو بالعلم خطوة إلى الأمام.

ونستطيع أن نقول ذلك –أيضا – في قضية الأثر الواسع، المشهود به من الأوربيين أنفسهم، لقصص (ألف ليلة وليلة) في الأدب الأوربي . لقد كتب فيه بعض الباحثين، لكن الأثر أعمق وأوسع من أن يتناوله جهد فردي، إنه يتطلب جهدا مؤسسيا، يستوعب كل مناحي ذلك الأثر في كل اللغات، وعلى كل

---

(١) من الضروري هنا أن أشير إلى أن هذه الفكرة نبهني إليها الأستاذ الدكتور(أحمد خليل) عليه رحمة الله ، أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بإيتاي البارود

الأصعدة الفكرية والفنية والاجتماعية.

ولدينا أسئلة ترد كثيرا حين ندرس تاريخنا المصري القديم، هل كان عند الفراعنة مسرح ؟ هل كان لهم جهد قوي في فن (الخرافة على لسان الحيوان) ؟ وهل نقل عنهم اليونان والرومان شيئا من ذلك؟ وهل لهم أثر بين في (الحكمة عند اليونان) ؟ إن قلة المعلومات تجعل الإجابة على هذه الأسئلة مقتضبة وهلامية، ولكن الفحص الدقيق لمعاجم اللغة الهيروغليفية من قبل متخصصين في اللغات المقارنة ومعهم متخصصون في التاريخ القديم، ذلك الفحص ربما يفتح الباب لفهم مناحي حياة الفراعنة وتفاصيلها ، بل ربما يفسر نصوصا ويفك ألغازا ظلت مستغلقه قرونا عدة، وخير نموذج هنا معجم (أحمد كمال باشا)، وهذا أيضا مجال مرهق ، لكنه منتج، وحين تتضافر الجهود وتنسق مؤسسيا يعظم الأثر و نتقدم خطوة إلى الأمام في فهم تاريخنا، وصلتنا بالأمم الأخرى .

وهناك مشروعات أخرى يضيق المقام عن ذكرها، تستوعب النطاق الأدبي واللغوي والتاريخي، وتربط بيننا وبين الأمم الأخرى لغويا وفنيا، وتؤكد – في الوقت ذاته – على هويتنا وخصوصيتنا الثقافية .

توصيات

١. تحديد النقاط البحثية الملحة المرتبطة بالواقع ووضع مكافآت ومميزات لمن يخوض مجالها، وتمكين الباحثين فيها من الحصول على المعلومة من الجامعات والمكتبات العالمية وغيرها من مصادر المعلومات إن تطلب الأمر .

٢. السعي إلى إنشاء (رابطة البحث العلمي العربي والإسلامي)، تشمل جميع الجامعات التي تشاركنا دراسة الثقافة العربية، سعيا لتحقيق التكامل المعرفي والبحثي لمنع التكرار وسد الثغور الأدبية والمعرفية والإنسانية.

٣. حفز باحثي الأدب على دراسة اللغات الأوربية وآدابها ليتمكنوا من دراسة أثر أدبنا العربي فيها، ورصد مميزات ومكافآت لهذا المجال المثمر، من حيث وضعيتنا ومكانتنا الأدبية والثقافية في عالم اليوم.